ةيوبترلا ينطفلا ةيسفنلا ةمجرتلا

عادولا ةحفاكم ةفتسلا

د. حامد محمد آدم

أستاذ العلوم التربوية المساعد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشكلة البحث وأهدافه

من أهداف هذا البحث: بيان المضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع.

وبيان إنسانية الإسلام عن طريق عرض و تحليل خطبة حجة الوداع وعرض القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع. واستنباط طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض الرسول e خطبة حجة الوداع، وبيان الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول e في عرض تلك القيم.وذكر أهم روايات خطبة حجة الوداع،وقسم الباحث البحث إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول عن مفهوم القيم وما يتعلق بها، والمبحث الثاني ذكرت فيه أهم روايات خطبة حجة الوداع، والمبحث الثالث تحليل خطبة حجة الوداع وبيان قيمتها التربوية وبيان ما اشتملت عليه الخطبة من مبادئ وقيم إنسانية، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث: تمثل خطبة حجة الوداع رسالة حضارية مفتوحة، موجهة إلى البشرية جميعاً،على اختلاف أزمانهم وألوانهم وأجناسهم وأماكنهم وعقائدهم. وإن ما جاء في هذه الخطبة من القيم والمبادئ الإنسانية بمثابة الركائز التي يقوم عليها أمر البشرية في شتى المجالات التي تحتاجها، وتعتبر خطبة حجة الوداع؛ بمثابة أول إعلان لحقوق الإنسان كافة وليس إعلان لحقوق المسلمين فقط، بما اشتملت عليه من مضامين تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه،بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي آله الطيبين الطاهرين ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين. فإن البشرية تسير نحو الاندماج والقرية الواحدة،في ظل العولمة وتدفق المعلومات، وعلي المسلمين أن يقدموا ما لديهم من خير للإنسانية، والإسلام مؤهل لتقديم حلول لمشاكل البشرية جميعاً، إذا أحسن عرضه وتقديمه للعالم. وقد زعم بعض المؤرخين أن العلاقات الإنسانية والمعاني السامية مثل قيم الحرية والمساواة وغيرها؛ لم توجد إلا بعد قيام الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وقد فات عليهم أن الإسلام قام علي هذه المبادئ، وضع النواة الأولى للقيم العالمية ومنطلقات العلاقات الإنسانية وأهتم بتربية الفرد علي أن يكون عضواً متفاعلاً مع بني جنسه متعاوناً معهم في رفع شأن البشرية ودفع الضر عنها.

وفي خطبة حجة الوداع دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي مبادئ عالمية وقيم اجتماعية صالحة لتنبثق منها ركائز العلاقات التي تهم البشرية في كل زمان ومكان.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذا البحث في تحديد وبيان القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع، وإذا أردنا إيجازها في شكل نقاط فيمكن تحديدها في الأسئلة الآتية:

- ما القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع؟
- ما الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم؟
- ما طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض الرسول صلي الله عليه وسلم لخطبة حجة الوداع ؟
- ما القواعد والمبادئ الإنسانية المستنبطة من مضامين خطبة حجة الوداع؟
- ما أهم روايات خطبة حجة الوداع؟

مشكلة الدراسة:

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- بيان المضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع.
- بيان إنسانية الإسلام عن طريق عرض و تحليل خطبة حجة الوداع
- بيان القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع.
- بيان طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض خطبة حجة الوداع
- بيان الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم؟
- بيان أهم روايات خطبة حجة الوداع

أهمية الدراسة:

تكمن دراسة خطبة حجة الوداع في أهمية الخطبة نفسها وما اشتملت عليه من مبادئ إنسانية تهم البشرية في كل زمان ومكان.

ولخطبة حجة الوداع أهمية زمنية ومكانية؛ أما الأهمية الزمانية: أنها ألقيت في الشهر الحرام وفي يوم النحر،جاءت بعد جهاد استمر أكثر من عشرين عاماً، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، فكان آخر لقاء جامع بين الرسول وأصحابه الكرام أوصاهم فيها بوصاياه الأخيرة وأعلن فيها اكتمال الإسلام، وأخذ عليهم العهد والميثاق ووضع فيها آثار الجاهلية تحت قدميه الشريفتين، وكان عددهم مابين مائة وأربعة عشر ألفاً إلي مائة وثلاثين ألفاً.(١٨٥) ومن حيث المكان أنها ألقيت في صعيد عرفات.

حدود الدراسة:

إنّنا سنقتصر في دراستنا هذه على القيم الإنسانية والمضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع وتشمل خطب يوم النحر وأيام التشريق.

ومن المفيد الإشارة إلى أنّنا سوف لن نكثر من النصوص، وسنعطي أهمية للتحليل، والاستنباط أكثر من حشد النصوص،لأننا لسنا في موقع الاستقصاء، و سوف نكتفي من الاستدلال بقدر ما تتضح به الفكرة

---

(١٨٥) السيرة النبوية' ابن هشام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٩م. ص ٣٨٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي والمنهج التحليل، لأن هذه المناهج من المناهج المعتمدة في البحث العلمي، ومناسبة لمن يريد تحليل النصوص واستنباط المبادئ والقيم الإنسانية منها.

واتخذ أسلوب المقارنة، بين الموقف الذي يشير إليه، على أمر من الأمور، وبين الأساليب المعاصرة، في التربية الحديثة،

وقد أعطيت أهمية إلى التنبيه، والإشارة؛ إلى كيفية الاستفادة من الموقف المعين، وكيفية إنزاله إلى الواقع التربوي.

المبحث الأول: التعريف بالقيم

أ- تعريف القيم

لفظ قيم في اللغة: جمع، ومفرده: قيمة، وهي مأخوذة أصلاً من مادة:(قوم) ومنها: (قام،قياماً،فهو قائم) وأصلها(قواماً) أبدلت الواو ياءً لتتجانس مع الكسرة، وتدل على عدة معان، نذكر منها(١٨٦):

١ـ الدّوام والثّبات والاستمرار. كمال قال تعالى:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) (هود آية ١١٢).

٢ ــ الاتزان كقولنا: استقام الشعر أي : اتزن.

٣ــ العزم، والقصد. كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) (المائدة آية ٦).

٤ ــ مراعاة الشيء. كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) (النساء آية ١٣٥)

٥ ــ الثمن. كقولنا قيمة الشيء: أي ثمنه.

---

(١) فيروز آبادي، القاموس المحيط' مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.ج ٤'ص١٧٨.
ولسان العرب؛جمال الدين محمد بن مكرم ، دار الفكر' بيروت، (د- ط) و(د-ت)، ج١٢ ص ٣١٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦ ــ الاعتدال والوضوح. كما قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة أية ٦).

٧ ــ اسم لما يقوّم الشيء، كالعماد والسناد . كما قال تعالى:﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفا﴾ (النساء آية 5)

ب- [illegible] :

لا يوجد تعريف للقيم متفق عليه بين جميع العلماء وسنذكر عدداً من التعريفات ، تمثل اتجاهات مختلفة، ونعقب علي كل تعريف ببعض الملحوظات التي نراها مناسبة لذلك.

التعريف الأول:

((القيم مجموعة من القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما، وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال، والممارسات المادية، والمعنوية؛ وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورية والعمومية، وأي خروج عليها؛أو انحراف عنها يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة، ومثلها العليا)) (١٨٧).

الملاحظة علي هذا التعريف: أنه قد جعل مصدر القيم الجماعة ، ولم يشر إلي مصدر آخر للقيم؛ وفي الإسلام أن مصدر القيم الأخلاقية هو: (الوحي الإلهي)، وليس المجتمع ، أو المنفعة، أو العقل، أو الضمير، أو العرف، ولا غير ذلك مما ذهبت إلى ذلك بعض مدارس الفلسفة الخلقية كما سنبين في المباحث القادمة إن شاء الله.

التعريف الثاني:

((القيم هي العناصر الثقافية التي تجعل الثقافات الأخرى عسيرة الفهم. أو بمعنى آخر: هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير ولذلك تشمل القيم كل الموضوعات والظروف المبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، والقيم من ناحية أخرى قد تكون إيجابية أو سلبية، وأساس التميز يقوم على ما هو مرغوب فيه،

(١٨٧) القيم والتربية، لطفي بركات أحمد،دار الفكر للطباعة والبشر،(د- ط) ص٣١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما هو مرغوب عنه،أي أن القيم الإيجابية قيم مرغوب فيه والقيم السلبية غير مرغوب فيه)) (١٨٨).

أشار هذا التعريف إلي نقطة مهمة وهي تقسيم القيم إلى قيم سلبية غير مرغوب فيها ؛وقيم إيجابية مرغوب فيها. وما يؤخذ علي التعريف: نظرته إلى القيم باعتبارها أشياء، وموضوعات مرغوب فيها أو مرغوب عنها، بمعنى تمثل القيم كل الأهداف المرغوبة والمطلوبة التي يسعى إليها الناس في حياتهم الفردية والجماعية، لكن رغبة الإنسان وحدها لا تكون مصدراً للقيم والمعايير التي يتحدد من خلالها نشاط الإنسان، ولو ترك الأمر للإنسان ليختار ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه لضاع الإنسان في متاهات اختلاف الأحوال والأمزجة والظروف، وذلك حسب تقلبات الزمان والمكان، والحالات النفسية التي يكون عليها الفرد أثناء الحكم على القيمة الخلقية.

التعريف الثالث:

((القيم صفات أو مثل أو قواعد تقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية وتعاير بها النظم والأفعال لتعرف قيمتها الإنسانية، من خلال ما تتمثله منها)) (١٨٩).

هذا التعريف ملائم وقريب من دراستنا للقيم من المنظور التربوي الإسلامي، ولكنه لم يشر إلى مصدر تلك القواعد والمثل التي تعاير بها النظم والأفعال.

التعريف الرابع:

أما علي عبد الحليم محمود فقد جعل الأخلاق جزءاً من القيم الإسلامية، وعرّف الأخلاق بقوله:((الأخلاق في الإسلام مجموعة من المبادئ، والقيم التي تنظم سلوك المسلم، ويحددها الوحي، لينظم بها حياة الإنسان، ويضع لها من الضوابط ما يمكنها

---

(١٨٨) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٦ص٥٠٦.

(١٨٩) السلفيه وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولي،١٤٠٧ ص٤٦٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أن تحقق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والمؤدية إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة)) (١٩٠).

ويمتاز هذا التعريف من بين التعريفات التي ذكرناها بأنه أشار إلى مصدر القيم كما أنه يحمل خصائص وأهداف القيم في الإسلام،وهي تنظم حياة الناس وفق تلك الضوابط التي يحددها الوحي، وتؤدي إلى إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وتحدد الغاية من وجوده في هذا الكون، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى.

التعريف الخامس:

يوافق الباحث التعريف الرابع المذكور أعلاه في كل ما ذهب إليه ويضيف إليه تعريف مقداد يالجن للأخلاق ويجعلهما التعريف المختار، وهو:((إنّ الأخلاق عبارة عن علم الخير والشر والحسن والقبح، وله قواعده التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره،على نحو يحقق الغاية من وجوده، في هذا العالم على أكمل وجه)) (١٩١).

- فقد أشار هذا التعريف إلى أهم خصائص القيم الإسلامية وهي:

١ـ إنّ القيم في الإسلام عبارة عن قواعد ثابتة ومطلقة، لا تتأثر بزمان أو مكان أو ظروف أحوال الناس، لاسيما في أصولها، وأهدافها، وأن مصدرها الوحي الإلهي.

٢ ـ بقدر التزام الأفراد بهذه القواعد تتحقق أهداف الإنسان في الحياة .

٣ ـ هذه المعايير تمثل كل النشاط الإنساني، وتحدد السلوك المرغوب فيه(١٩٢)

و القيم في مجال الفلسفة تمثل أحد مباحث الفلسفة الثلاثة :

---

(١٩٠) فهم أصول الإسلام، علي عبد الحليم محمود،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٦٦ص ٣١.

١٩١) موسوعة الأخلاق الإسلامية ، التربية الأخلاقية، مقداد يالجن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة' ١٩٩٦ص٨١ .

(١٩٢)نظرية المنهج، جورج يوشامب، ترجمة ممدوح محمد سامي، وآخرون، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة' ١٩٨٦ص٩٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الوجود- المعرفة ـ القيم)، وهي المثل والقواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية متميزة بها عن الحياة الحيوانية وتتمثل في قيم عليا ومطلقة يحصرها الفلاسفة في:

(الحق، والخير، والجمال) (١٩٣)

المضامين التربوية:

أ- **تعريف المضامين**: جمع مضمون وله عدة معاني منها: ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمّنّه؛ ومنه الحديث: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن بيع الملاقيح والمضامين،وهي ما في أصلاب الفحول، ويقال: ضَمّنَ الشيءَ الشيءَ: أَوْدَعه إياه.والضّمِينُ: الكفيل، ويقال: شَرَابُك مُضَمّنٌ إذا كان في كوز أو إناء. ويقال: ضَمِنَ الشيءَ بمعنى تَضَمّنَه؛ ومنه قولهم: مَضْمُونُ الكتاب كذا وكذا.(١٩٤)

ب- **المضامين التربوية** : ما يحتويه الموضوع أو النص الذي يتكون من عناصر وأجزاء،ويشتمل علي مجموعة من المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي يمكن أن تحق الأغراض التربوية(١٩٥). ونعني به في هذا البحث: ما اشتملت عليه وحوته خطبة حجة الوداع من المبادئ التربوية والقيم الإنسانية والأساليب التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم، وقلنا تربوية: لأن التربية كانت الأداة أو الوسيلة التي استخدمها الرسول r لتحقيق تلك المبادئ.

إجراءات البحث:

خطبة الوداع والاتجاهات

المؤلفة قلوبهم:عن ابن عباس t قال: خطب النبيe الناس يوم النحر فقال:((يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها مرارا ثم رفع رأسه

---

(١٩٣) السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، مرجع سابق، ص٤٥٦.

(١٩٤) لسان العرب؛جمال الدين محمد بن مكرم، مرجع سابق ج١٢ ص ٣١٦

(١٩٥) معجم المصطلحات التربوية أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان،الطبعة الأولي،٢٠٠٠م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت). قال ابن عباس رضي الله عنهما فو الذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) [١٩٦] .

ةيناثلا ةياورلا: عن أبي بكرة t قال: خطبنا النبي e يوم النحر قال:(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة قلنا: بلى؛ قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى؛ قال: فأي يوم هذا؟قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى؛ قال: فإن دماءكم وأموالكم قال:- محمد وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه) (١٩٧).

ةثلاثلا ةياورلا: عن ابن عمر t أن رسول الله e وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فقال للناس:(أي يوم هذا؟ قالوا: هذا يوم النحر قال: فأي بلد هذا؟قالوا: البلد الحرام قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: الشهر الحرام قال: هذا يوم الحج الأكبر فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اشهد، ثم ودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع)(١٩٨). وفي رواية أخرى: (.... وإن

---

(١٩٦) البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ج١ص٥٢، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ج٢ ص٦١٩ .

(١٩٧) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ، ج٥ ص٢١١٠، صحيح البخاري كتاب الفتن ج٦ص٢٥٩٣، و كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)ج٦ص٢٧١٠ مسلم ،كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٣ ص١٣٠٦.

([١٩٨]) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار المعرفة، بيروت،الطبعة الأولي،١٩٩٨ تفسير سورة التوبة، ج٢ ص٣٦٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هاتين وأول دم أضعه دماؤنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع وأول رباً أضعه ربانا ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله، اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت بأمتك وقضيت الذي عليك فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد...) (١٩٩)

الرواية الرابعة: عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فذكر الحديث وقال: فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب، حتى أتى بطن الوادي، فخطب الناس فقال: (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام... من كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هزيل....قال أبو بكر قد بينت في كتاب النكاح أن قوله لا يوطئن فرشكم... إنما أراد وطأ الفروج)) (٢٠٠).

تخريج الرواية: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثنا أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ قال: فقال الناس يوم الحج الأكبر يا رسول الله؛ قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع.....

---

(١٩٩) المستدرك على صحيح مسلم لأبي نعيم ج٣ ص٣١٦.

(٢٠٠) صحيح ابن خزيمة، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولي،١٩٨٧ ج٤ ص٢٥١.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسي الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩كتاب التفسير،باب سورة التوبة ج ص٢٧٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحليل الواقعة: عن ابن إسحاق...(.....ثم مضى رسول الله e على حجّه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم؛ وخطب الناس خطبته التي يبن فيها ما يلي: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أول ما بدا به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من إن يعبد بأرضكم هذه ..... فاحذروه على دينكم.أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئو عدة ما حرم الله فيحلو ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله (٢٠١).

قال ابن إسحاق وحدثني يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: كان الرجل يصرخ في الناس ... يقول له رسول الله e : ((قل أيها الناس إن رسول الله e يقول: ((هل تدرون أي شهر هذا؟)) فيقول لهم، فيقولون الشهر الحرام، فيقول له:((قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوه كحرمة شهر كم هذا، ثم يقول : قل أيها الناس إن رسول الله يقول: ((هل تدرون أي بلد هذا؟)) .. فيقولون: البلد الحرام،((فيقول : قل لهم إن الله حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا، ثم يقول... هل تدرون أي يوم هذا؟)) قال: ابن إسحاق عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله e في حاجة ورسول الله e واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله e وإن لغامها(٢٠٢) ليقع على رأسي، فسمعته وهو يقول: ((أيها الناس إن الله قدر إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز و صية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)) (٢٠٣).

---

(٢٠١) السيرة النبوية بن هشام مرجع سابق ج٤ ص٢٠٤

(٢٠٢) اللِّغام: زبد أفواه الإبل، أي: رغوة تخرج مع ريقه. انظر: لسان العرب ج١٢ ص٥٤٥. – القاموس المحيط ج٤ص٧٨.

(٢٠٣) ابن هشام السيرة النبوية،مرجع سابق، ج٤ ص٢٠٤-٢٠٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: الخطبة الأخيرة

التربوية وأهميتها:

لهذه الخطبة خصوصية،وأهمية؛ فهي تمثل آخر لقاء للرسول r بأمته. أعلن فيها اندثار الجاهلية في الجزيرة العربية بكل مظاهرها، والتي كان لها تأثير في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. وإعلان مبادئ جديدة تقوم عليها الحياة، وكان ذلك بعد جهاد استمر أكثر من عشرين عاماً. فهي آخر إعلان لمبادئ الإسلام وتوجيهاته تلقتها الأمة الإسلامية من فم رسول الله e في الأرض المقدسة وبين فيها كثيراً من معالم الدين، وقيم الإسلام العليا، وما ينبغي أن تكون عليه الأمة الإسلامية عبر القرون، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهي بمثابة دستور جامع لخص فيه الرسول r أسس الدين وأوضح فيها معالم المبادئ الإنسانية وسبيل هداية البشرية، وعزتها، كما نبه على عوامل الضعف والانحلال والفناء وحذر من ذلك بأسلوب تربوي مؤثر، وهو ما كان يدعو له ويرمي إليه طول فترة الدعوة.

أساسيات قوة الخطابة واستمتاعها:

ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط الآتية:

- **الاستفتاح بالحمد لله r في الخطبة** (بالحمد الله) وهذا الاستفتاح فيه دلالة تربوية وهو إعلان عظمة الله وأن التربية الإسلامية تربية إيمانية تقوم علي أساس الإيمان بالله ووحدانيته وربط العالم به، وتبيان مكانة الإنسان في هذا الكون، وموضعه الصحيح فيه، بالإضافة إلى تعليم الناس كي لا يشعر الخطيب بأنه أعلى من المخاطبين. وفيه رد الفضل إلى صاحبه، ونسبة النعمة إلى منعمها ، وكان r يحافظ على هذا الأسلوب في كثير من خطبه(٢٠٤).

(٢٠٤) الوصية النبوية، فاروق حمادة،دار الثقافة، الدار البيضاء،الطبعة الثانية،١٩٨٣ ٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا : حرمة الدماء فقد تحدث النبي r عن حرمة الدماء،في قوله:(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا...) وفي قوله :(...لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (٢٠٥).

والعرب كانوا يتقاتلون لأتفه الأسباب، فمثلاً لسباق خيل تقوم حرب تستمر أربعين عاماً تأكل الأخضر واليابس، وتفنى فيها قبائل بأسرها، وكثير من الحروب التي نجدها في كتب التاريخ والأدب كانت تقوم على أسباب واهية. وقد بين الله سبحانه وتعالي إنه من قتل نفس بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً. وقد قال صلي الله عليه وسلم:(إن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة) (٢٠٦)والكعبة قد تنقض وتبنى علي ما كانت عليه من قبل ولكن إذاهدمت شخصية الإنسان من الذي يعيد بناءها؟! لا أحد غير الله. فكان من عدل الإسلام أن شرع القصاص فالعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص،ويقتل الدنيء بالشريف والشريف بالدنيء، والعربي بالعجمي والعجمي بالعربي، ويقتل العدد بالواحد، إلى غير ذلك من القواعد والضوابط الشرعية التي وضعها فقهاء الأمة سعياً لصيانة الدماء،وحفظاً لبيضتهم فالجميع سواسية عند الله، قال تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))(٢٠٧) ولو تأملنا كل المبادئ التي تضمنتها خطبة حجة الوداع لوجدنا اتفاق العقلاء وأصحاب الديانات كلها على حاجة البشرية كلها إلى مثل تلك القيم والمبادئ، وأنه لا يستقيم نظام وحال أمر أي أمة في الدنيا إلا بمثل هذه المبادئ، ومنها حرمة الدماء.

ولذلك بدأ الرسول r في خطبته بالنهي عن الاعتداء على دم امرئ إلا بحقه وحدد لها ثلاثة أمور معروفة ومعلومة في الشريعة الإسلامية، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ

---

(٢٠٥) البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ج١ ص٥٢، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ج٢ص٦١٩ .

(٢٠٦) مجمع الزائد، الحافظ نور الدين أبو بكر الهيثمي ج٣ ص١٩٢..

(٢٠٧) سورة الحجرات آية ١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ((لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاث النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالتَّارِكُ دِينَهُ الْمُفَارِقُ أَوْ الْفَارِقُ الْجَمَاعَةَ))[٢٠٨]

يقوم بها الحاكم المسلم وليس الأفراد، فمتى تجاوز هذا وتعمد قتل النفس؛ فجزاؤه القصاص في الدنيا، وجهنم في الآخرة قال تعالى:((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))(٢٠٩).

((وإن الاستخفاف بالدماء والأرواح حالة تتكرر حين ينحط مستوى الأمم السلوكي والفكري فيتحول المجتمع إلى غابة تحكمها قوة العصابة ويتنحى الحق فيها إلى ركن قصي))(٢١٠).

وما يعانيه العالم اليوم في ظل النظام العالمي الجديد والهيمنة الغربية واستعلاء اليهود وفرض مبادئهم وأفكارهم على البشرية بالقوة. ومن لا ينصاع لذلك فيكون مصيره الدمار والهلاك والفناء، وإهدار كرامته باسم العدالة والقانون، والشرعية الدولية..الخ. ونحسب أن كل هذه الفوضى التي تعانيها البشرية اليوم سببها الابتعاد عن تعاليم الإسلام وقيمه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾(٢١١).

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢١٢).

ثالثا: قيم المؤسسة: من الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية؛ المسؤولية الأخلاقية، ومعنى المسؤولية: (هو ما يتحمله الشخص نتيجة التزاماته وقراراته

---

(٢٠٨) مسند الإمام أحمد،مؤسسة قرطبة القاهرة،(د- ط) و(د – ت)ج٢، ٢٣٦.

(٢٠٩) سورة النساء الأية ٩٣.

(٢١٠) الوصية النبوية' فاروق حمادة،مرجع سابق، ص٥٠

(٢١١)سورة طه الآية ١٢٤.

(٢١٢)سورة الصف الآية ٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واختياراته العملية من الناحية السلبية والإيجابية، أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة) (٢١٣).

فالإسلام يعتبر الإنسان مسؤلاً عن الأشياء التي حوله، سواء كانت أشياء مادية أوبشرية،قال تعالى:((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ))(٢١٤).

ومن الضوابط التي بينها الرسول e في خطبته أن الإنسان مسئول بالدرجة الأولي، عن أي عمل يقوم به، ولا يتحمل أخطاء أفراد آخرين، مهما كانت قرابتهم، وبهذا قطع الطريق أمام الثارات والحروب التي كانت تستعر بسببها. وذلك في قوله:(.... وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة...) وفي قوله: (... ألا لا يجني جان إلا على نفسه ولا يجني والد على ولده ولا ولد على والده)

كما أعلن عدم المطالبة بالدماء التي كانت في الجاهلية وأن الإسلام يّجّب ما قبله...

ثانياً: مبدأ التفاضل بين الناس بالتقوى: وقد بين أسس التفاضل بين الناس وهو(التقوى) كما قال تعالى: **(** يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)**(٢١٥).

وقوله: e (ألا إن المسلم أخو المسلم فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه) فالبشر كلهم متساوون ليس الفضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.وقد أنكرت قريش على الرسول هذا المبدأ الذي طبقه على الصحابة، وقد طلبت منه أن يطرد من مجلسه بلالاً الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من العبيد لكي يستمعوا إلى دعوته،وحين رفض الرسول هذا الطلب(٢١٦) قالوا: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً،فكاد يجيب دعوتهم فأنزل الله:((وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ

---

(٢١٣) التربية الأخلاقية في الإسلام، مقدادة يالجن، مرجع سابق، ص ٣٣٤. سورة الصف الآية٨.

(٢١٤) سورة الزخرف الآية ٤٣-٤٤ .

(٢١٥) سورة الحجرات الآية١٣.

(٢١٦)جامع البيان، الطبري،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،(د- ط)١٩٩٠ ج ٧ ص٢٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)) (٢١٧).

وكانت الأمم قبل الإسلام تقوم على أساس الطبقات كالديانة البراهيمية التي تقسم الناس إلى أربع طبقات، وتجعل أعلا هذه الطبقات الطبقة البراهيمية، وتجعل أدناهم طبقة السفلة، أو الأنجاس، وحرام على الطبقة الأخيرة أن تنال شيئاً من العلم والدين وإلا حل بها العذاب الأليم. وقد زعم اليهود أنهم وحدهم أبناء الله، وعلى هذا فرقوا في تشريعاتهم بين اليهود وغيرهم. واللأمان قسموا الجنس البشري إلى طبقات وجعلوا أعلى الأجناس الجنس الآري حسب زعمهم، وحتى الأمم التي تدعي اليوم التحضر وتري بأن العالم مدين لها بمبادئ العدل والمساواة، لا تزال قوانينها وممارساتها العملية تخالف ذلك، وما يشاهد يومياً عبر القنوات الفضائية من أحداث يغني عن ذكر الأمثلة.

وإذا نظرنا إلى ما شرعه الإسلام من مبدأ المساواة نجد أنه لم يصل إليه أي تشريع سماوي أو أرضي(٢١٨)

ويتضمن مفهوم المساواة في الإسلام الآتي:

١- المساواة في القيمة الإنسانية،ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية متساوون في أصل النشأة والوجود والمصير.
٢- المساواة في التكاليف الإلهية،ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية مكلفون بالتصديق عما جاء عن الله والامتثال لأمره.
٣- المساواة في المسؤولية والجزاء،ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية مسؤلون عن جميع تصرفاتهم وسلوكهم، وسيجازون على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر(٢١٩)
٤- المساواة في الحقوق العامة، ومن الحقوق الإنسانية الطبيعية التي يسعي الإسلام إلي حفظها وصيانتها:

---

(٢١٧)سورة الأنعام الآية ٥٢.

(٢١٨)روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلوم للملايين،بيروت،الطبعة الأولي،١٤٠٧ ص٢٩٨.

(٢١٩)مفهوم المساواة في الإسلام، رشاد حسن خليل، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية١٩٩٨ ص١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- حق الحياة وهذا حق ممنوح من واهب الحياة، الله جل جلاله، فلا يجوز مصادرته من أحد، حتى من الفرد نفسه فلا يجوز الانتحار.
- حق الحرية؛ ويدخل في هذا حرية الفكر، وحرية الاعتقاد في اختيار الإنسان الدين الذي يرغب فيه، وحرية الرأي وحرية الكلمة، وحرية التعبير.
- حق التملك وهذا يقتضي التصرف فيما يملك، في حدود الشرع.
- حق العمل فلا يجوز أن يمنع الإنسان من العمل والكسب لتحقيق الحياة الكريمة.[٢٢٠] وتكمن أهمية إعلان قيم المساواة وإعلانها بين الناس في خطبة حجة الوداع، في أن بعض القبائل كانت ترى أن السيادة والقيادة لها أكثر من غيرها[٢٢١] وتتكرر مثل هذه النظرة في كل زمان ومكان، فأراد أن يبن أسس الإسلام في ذلك. و بين لهم في خطبته ما ينبغي أن يكون عليه الناس من الأخوة الإنسانية، وبناءً علي هذا أن لكل إنسان كرامته التي يجب احترامها، فالإنسان مكرم مهما كان لونه أو جنسه أودينه، وهذه كرامة عصمة وحماية، وهذا هو المستوى الأول من مستويات الكرامة الإنسانية، قال تعالي:((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))(٢٢٢)

§ يلي هذا المستوي من التكريم كرامة العزة والسيادة، قال تعالي: (....العزة لله ولرسوله وللمؤمنين...) (٢٢٣) وهذا لا ينقص من قدر إنسانية الإنسان وإنما زيادة في كرامته فهو كريم ومحمي بإنسانيته، ثم هو عزيز ومكرم بإيمانه، فهذه الكرامة تتغذى من عقيدته، يلي هذين المستوين مستوى ثالث من التكريم وهو: كرامة الاستحقاق والجدارة والسعي، وهي التي يستحقها الإنسان بعمله وسعيه وجهده،(٢٢٤) قال تعالي:((وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))[٢٢٥] وهذا يعني أن يحفظ لأهل الفضل فضلهم،وأن يقدم أهل الخير والصلاح؛ علي أهل الشر والفساد، فلا يستوي العالم والجاهل، والمؤمن وغير المؤمن، دون أن ينقص من كرامة الإنسان في أصله. ومبدأ احترام المحسن أكثر من غير المحسن؛ فيه مغزى تربوي وهو تشجيع الناس

([٢٢٠]) فلسفة التربية الإسلامية، أحمد رجب الأسمر، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة١٩٨٧ ص٢٤٣.

([٢٢١])التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مرجع سابق ص ١٤١.

([٢٢٢])سورة الإسراء آية ٧٠

(٢٢٣) سورة المنافقون الآية ٨.

([٢٢٤])التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٥٤٢.

([٢٢٥]) سورة الأحقاف آية ١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علي الفضيلة، وحتى لا يتساوي الصالح مع الطالح، قال تعالي: ((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ))[٢٢٦].
ونشير هنا إلي أن مستويات الكرامة الإنسانية، لا تكون مدخلاً لأحد ليتعدى علي حقوق الناس الطبيعية، بحجة أنهم غير مسلمين،أو غير أتقياء، وينبغي أن تحفظ حقوقهم بحكم الكرامة الإنسانية الأصلية.[٢٢٧]

- **الحق الأول المحرم**: وقد بين أسس تداولها، وجعل حرمتها كحرمة الأنفس، فلا تؤخذ إلا بحقها المشروع، فلا غارات تستبيح أموال الناس بغير حق ولا غصب من الأقوياء لأموال الفقراء، بالصورة التي كانت معروفة عند العرب، وتتكرر عند كل الجاهلين في كل زمان ومكان خاصة في زماننا هذا. وبين لهم حرمة ذلك قوله:(... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)

وامتد التشريع في الأموال إلى تحريم آفة الربا في هذه الخطبة الجامعة وفي هذا الموقف العظيم ليعلم الناس أن المال عصب الحياة الاجتماعية ومن ثمَ لا تساهل في المعاملات المالية ولا تلاعب بأقوات الفقراء على أيدي الأغنياء الجشعين. وذلك في قوله: (وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع...) وتقوم نظرة الإسلام للمال على ركنين أساسيين هما:

أولاً-**الاستخلاف**: ويعني أن هذا الكون مسخر للإنسان كما قال تعالى: ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))(٢٢٨)

ثانياً-**الاستخلاف**: وهو أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وبذلك تقع عليه مسؤوليات وحقوق[٢٢٩]

([٢٢٦]) سورة لزمر آية ٩.

(٢٢٧)التربية الأخلاقية في الإسلام مقداد يالجن مرجع سابق ص٨٧.

([٢٢٨]) سورة الجاثية. ١٣.

([٢٢٩])الإلتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،(د-ط)١٩٩٦ ص٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ومن وصايا الإسلام في المعاملات المالية:
- الالتزام بأداء حق الله كالزكاة والصدقات
- الإيمان بأن الغاية من الكسب عمارة الأرض وعبادة الله،كما قال تعالى:((...هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)) [٢٣٠] وقوله صلى الله عليه وسلم(إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاعة أن يغرسها فاليغرسها....) [٢٣١]
- الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، كما قال تعالى:(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها....) [٢٣٢]
- العمل في المجالات المشروعة كما قال تعالى:((قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [٢٣٣]
- تجنب المعاملات الربوية، كما قال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)) [٢٣٤]
- الإيمان بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، وهذا الإيمان يؤدي بالعبد إلي أن يتصرف في المال وفق مراد الله كسباً وإنفاقاً[٢٣٥]. وأساس ذلك قوله تعالى:((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)) [٢٣٦]
- المحافظة على المال وتنميتها بالحلال،أساس ذلك قوله تعالى:((وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)) [٢٣٧]
- عدم الاحتكار والكنز، كما قال تعالى:((... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) [٢٣٨]
- الالتزام بالقيم الفاضلة ومنها: الصدق الأمانة والاعتدال في الإنفاق، كما قال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)) [٢٣٩]

([٢٣٠]) سورة هود آية٦١.

([٢٣١]) أخرجه مسلم .

([٢٣٢])سورة الملك آية ١٥. .

([٢٣٣]) المائدة آية ١٠٠.

([٢٣٤]) سورة البقرة آية١٣٢ .

([٢٣٥]) الالتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة مرجع سابق ص٤٢.

([٢٣٦]) سورة الحديد آية ٧..

([٢٣٧])سورة النساء آية ٥.

([٢٣٨]) سورة التوبة آية ٣٤.

([٢٣٩]) سورة الفرقان آية ٦٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسس الحضارة الإسلامية:

وبعد هذا الإعلان لنهاية الجاهلية في كل مظاهرها بين لهم رسول الله e أن أساس وحدتهم ورابط تضامنهم، التمسك بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المحفوظ بحفظ الله من الاندثار والزوال قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢٤٠) والسنة المشرفة،حيث قال:(... وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله....) فهما مصدرا التلقي وأساس مصادر التشريع الإسلامي سواء كان ذلك في مجال الاعتقاد أو العبادة أو الأخلاق، فهما اللذان يرسمان معالم سلوك الشخصية الإسلامية، ويحددان مسارها في هذه الحياة، بداية من قيم الإيمان بالله ومرورا بالآداب الإسلامية العامة كإماطة الأذى عن الطريق، والتبسم في وجه المسلم، وآداب التزاور والسفر وآداب الجلوس على الطرقات ؛ وصولا إلي الآداب الاجتماعية ؛ كصلة الأرحام وبر الوالدين وحقوق الجار وإكرام الضيف. كل ذلك يجب أن يكون مصدره الله سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق ويعلم ما يصلحه وما يفسده(٢٤١).قال تعالي:[أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير] (٢٤٢).

والإنسان لم يخلق نفسه حتى يكون له حق التشريع لها، بل خلقه الله كما خلق الكون وهو خاضع لإرادة الله سبحانه وتعالى، وعاجز لأن يشرع لنفسه في أي مجال من مجالات الحياة ، إلا أن يهتدي بالوحي المنزل من عند الله (٢٤٣)

والإسلام هو النظام الوحيد في العالم الذي مصدره الوحي، غير محرف ولا مخلوط بأوهام البشر، وكل المناهج السائدة في العالم غير الإسلام مناهج مصدرها التفكير العقلي كالشيوعية الوجودية وغيرها، أو مناهج كانت إلهية في الأصل، و لكن امتدت إليها يد التحريف، مثل اليهودية

---

(٢٤٠) سورة الحجرات آية١٣.

(٢٤١) الخصائص العامة في الإسلامي،يوسف القرضاوي،مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة،١٩٨٦ ص٤٣.

(٢٤٢) ا سورة الملك آية ١٤.

(٢٤٣) معالم في الطريق، سيد قطب الشروق، بيروت، الطبعة السابعة،١٩٧٨م ص.٩٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنصرانية، أما الإسلام فقد سلم مصدره من التدخل البشري(٢٤٤) وهو محفوظ بحفظ الله له، كما قال تعالى:[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (٢٤٥).

ب- الزمن دورة: أعلن الرسول r في هذه الخطبة عن قيمة الزمن في حياة الإنسان، حين قال: (إن الزمان قد استدار، ورجع إلى وضعه الصحيح الذي خلق عليه يوم خلق السماوات والأرض...) قال الخطابي(... كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير، لأسباب تعرض لهم منها: استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهراً غيره فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله، فاتفق وقوع حجة النبي صلى الله عليه وسلم.) (٢٤٦)

وبعد هذا ينبغي أن يبدأ المسلمون حساب الزمن بدقة، وأن يتطابق الزمن مع أسماء الأشهر، وذلك بعد طول تلاعب بها، حيث كان العرب يجعلون حجهم في كل عامين في شهر معين من السنة، فأمرهم الرسول r بعدم التلاعب بالأشهر تقديماً وتأخيراً، ولا حج بعد اليوم إلا في هذا الزمان الذي استقر اسمه ذو الحجة(٢٤٧) وأن يضبطوا عليه عباداتهم؛ من صلاة وصوم وحج؛ ومكاتبات وعهود، وتأكيدها بالزمن الدقيق دون تدخل من أحد، بتقديم أو تأخير. وأساس ذلك الآيات الكونية، (الشمس والقمر) كما قال تعالى:(يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) (٢٤٨).

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون) (٢٤٩).

---

(٢٤٤) الخصائص العامة في الإسلامي، يوسف القرضاوي مرجع سابق، ص٣٨.

(٢٤٥) سورة الحجرالآية ٩.

(٢٤٦) فتح الباري ،ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولي،١٩٨٧ ج٨ ص٣٢٥.

(٢٤٧) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي ص٣٣٠.

(٢٤٨) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٢٤٩) سورة يونس الآية ٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان العرب قبل ذلك لا يستعملون تقويماً خاصاً، وكانوا يؤرخون بالحوادث الهامة، مثل وفاة كعب بن لؤي، وعام الفيل، وفيه ولد الرسول صلى الله عليه وسلم،وأرخوا بعام الفجار وهو بعد عام الفيل بخمسة عشر عاماً، وأرخوا بإعادة بناء الكعبة وكان عمر الرسول خمسة وثلاثين عاماً(٢٥٠) يقول الإمام الطبري:(أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيه، وقالوا:لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئاً لنهلكنَ،فكانوا إذا صدروا عن ِمنى يقوم من بني كنانة ثم من بني فُقيم منهم رجل يقال له القَلمَّس،فيقول أنا الذي لا يرد لي قضاء، فيقولون:أنسئنا شهراً،أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر،فيحلُ لهم المحرم.فكانوا كذلك شهراً فشهراً حتى استدار التحريم على السنة كلها، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله فيه، وهذا معنى قوله عليه السلام:(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض) (٢٥١)

وهناك دلالة هامة تستفاد من هذا التوجيه في الخطبة وهي: أهمية الزمن في حياة الإنسان وماله من قيمة اقتصادية، واجتماعية وحضارية مهمة في الحياة. فإذا كان أفراد المجتمع يستهترون بالزمن ويضيعونه في أتفه الأعمال فهو مجتمع وهن، ليس له أهداف يحيا من أجلها ولا يتقدم، يعيش متخلفاً في الحياة، ولا يكون له ذكر في الدنيا، ويبعث نادماً يوم القيامة.

وإن مشكلة الفراغ الذي يعاني منه الشباب في المجتمعات الحديثة مشكلة أساسها الاستهتار بالزمن، ولها آثار سالبة على الفرد والمجتمع وتظهر هذه الآثار بشكل واضح في الآتي:

البطالة المقنعة وكيف تضرب البطالة بأطنابها في العديد من بلادنا الإسلامية اليوم

الانحرافات الفكرية والسلوكية بين العاطلين.

الشعور بالقلق وعدم الأمان الاجتماعي.

---

(٢٥٠) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ج٨ ص٢٣٤

(٢٥١)المرجع السابق ٣٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقدان تقدير الذات، الشعور بالفشل الدائم وأنهم أقل من غيرهم.

القلق والكآبة وعدم الاستقرار يكثر بين العاطلين أكثر من غيرهم.

وعند الأشخاص الذين يفتقدون الوازع الديني، يقدم بعضهم على تعاطي المخدرات شرب الخمور.

ازدياد نسبة الجريمة، كالانتحار والقتل والاعتداء،يكثر بين هؤلاء العاطلين.

ومن مشاكل البطالة أيضاً، الهجرة، وترك الأهل والأوطان دون أهداف محددة.

و لهذا كان السلف يعتبرون استغلال الوقت من علامات صلاح الإنسان، لأن الوقت هو الحياة، وما الإنسان إلا سنوات تمر وشهور، وأيام وساعات ودقائق.

وعلى المربين الاهتمام بالبرامج التي فيها استغلال الوقت في توجيه تلاميذهم وأبنائهم للاستفادة من أوقاتهم وزمن فراغهم، والقرآن والسنة النبوية يشيران إلى أجزاء الزمن في النصوص الكثيرة، مثل الليل، والنهار، والضحى، والعصر...الخ وكل العبادات المفروضة محددة بزمن، مثل الحج، والصوم والزكاة والصلوات الخمس...

وهذا إذا دل على شيء إنما يدل على ما للزمن في الإسلام من قيمة دينية وحضارية واجتماعية.

ثانياً: تقييم الوقت وقدسيته: وذلك حين قال: (...اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف...) فقد بين الرسول r الأساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي للأسرة المسلمة، وهي النواة الأولى للمجتمع المسلم، فلابد من أن تقوم على ركائز ثابتة بينها الرسول r في الخطبة، المتمثل في الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة وأكد علي تلك الحقوق، لاسيما حقوق المرأة التي شنع الإسلام بالظلم الذي كان واقعاً عليها في الجاهلية ابتداءً من حرمانها من الميراث وانتهاءً بوأدها في التراب(٢٥٢). وبعد أن عمد الإسلام تأكيد حقوق المرأة وجعلها كياناً إنسانياً له حقوق وواجبات، أصبح لا يعرف المجتمع الإسلامي ما نسمع عنه من مشكلة المرأة، لأن الله سبحانه هو الذي حل مشكلاتها وأعطاها كامل حقوقها وبابتعادها عن نهج الله تردت في وادي البعد السحيق، وعادت مهضومة الحقوق سلعة

(٢٥٢) فاروق حمادة الوصية التربوية، فاروق حمادة،مرجع سابق، ص٨٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتاجر بها أصحاب المال بجعلها عارضة أزياء، وإنّ ما يسمى باليوم العالمي للمرأة لا ينيلها حقها بل يزيد القضية بلية على بلية

هـ اذ ي ق ل خ ف ن ه لا ن ه ر ي ن ه ر ف ض أ ر ة ٌ ش ر ه: فقد نبه الرسول e في خطبته إلى أهم قضية وهي التي تتمثل في الانحراف الخلقي الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي و حذر الرسول من انتهاك الأعراض وجعل ذلك كحرمة الأموال والأنفس'فلا هجاء بغير حق ولا حديث عن حرمات الناس وأعراضهم بعد اليوم كما كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام.

ومظاهر هذا الانحلال، والانحراف تظهر كلما ضعف تمسك الناس بتعاليم وقيم الدين، فهي ظاهرة لا يخلوا منها زمن ولو تنوعت صورها، واختلفت مظاهرها. (فجعل للعاهر الحجر) وهو الزاني الذي يأتي المرأة العاهرة حيث جعل حظه من المولود الحجر كناية عن العدم، فهو لا حظ له، والمولود مرتبط بأمه هذه هي القاعدة التي وضعها الإسلام حيال هذه القضية الاجتماعية الخطيرة.

ة ي و ب ر ي ذ ل ب ه:

في ختام تحليل الخطبة، يرى الباحث من المهم أن يشير إلى أهم الدروس التربوية التي استخدمها الرسول r في تلك الخطبة؛ ونهجت نظريات التربية وطرق التدريس الحديثة أسلوبه؛ نظراً لتميز ودقة تلك الأساليب في التوجيه والإرشاد، ومن هذه الدروس:

١-أسلوب الاستفهام الذي استخدمه الرسول r وذلك بسؤالهم عن الأمور المعلومة لديهم ،كالبلد الحرام، والشهر الحرام، ويوم الحج الأكبر، لقياس ما حرم الله عليهم من الأموال، والدماء على الأشهر الحرم والبلد الحرام واليوم الحرام ... وهذا الأسلوب يفيد في توصيل العلوم والمعرفة وترسيخها في أذهان المتعلمين والسامعين ، وهو ما يسمى عند علماء التربية وبناء المناهج البدء بالمعلوم قبل المجهول، وقياس المجهول على المعلوم؛ وهو مبدأ تربوي عظيم، علمنا إياه الرسول r قبل أربعة عشر قرناً؛ وقبل النظريات التربوية الحديثة. فقد استخدم r هذا الأسلوب، في الخطبة ، حيث قاس في الخطبة الأمور المعلومة لديهم ،كحرمة البلد الحرام، والشهر الحرام ويوم الحج الأكبر، قاس ذلك بما حرم الله عليهم من حرمة الدماء والأموال والأعراض...

٢- أسلوب أخذ الشهادة من جميع الحاضرين بصدقه e وهذا ما نلاحظه في قوله: (...وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت بأمتك وقضيت الذي عليك فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد) وبهذه الإجابة على سؤاله استمع منهم علي الشهادة له بالصدق؛وأداء الأمانة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣-استخدم الإشارة بإصبعه بعد استجوابهم وقوله: ((ألا هل بلغت اللهم فاشهد)) (٢٥٣). وهذه الأساليب تسمى عند علماء التربية وطرق التدريس استخدام المدرس الحافز، ومفهوم الحافز هو كل تأثير لغوي أو إيمائي يقوم به المدرس بهدف حث المتعلمين ودفعهم على التفكير والنشاط (٢٥٤). وله أنواع منها:

أ- التعزيز اللغوي وبعضهم يسميه الحافز،وهو تدخل المعلم المباشر بكلمة تحفيزية أثناء إجابة التلميذ على سؤال ما، أو استكمال إجابته الناقصة؛ كقوله : استمر، برهن ، علل إجابتك، في الاتجاه الصحيح ، وضح أكثر، أحسنت، ممتاز...

ب-التعزيز المعنوي أو التمثيلي الإيمائي: وهو عبارة عن تعبيرات جسدية للمعلم كالإيماء والتمثيل، وتغيير ملامح الوجه ، أو تحريك اليد بما يتوافق مع معاني حديث المتكلم؛ كما ظهر في أسلوب الرسول r حيث كان يشير بإصبعه ، وذلك لمساعدة المتعلم على الإجابة السليمة أو فهم واستيعاب الحديث .

ج-التعزيز المادي ويكون عن طريق عرض وسائل تعليمية كالخرائط والرسومات أو تقديم الهدايا للمتعلمين تحفيزاً لهم على العلم.

٤- تتجسد القدوة في شخصية النبي r وهو النموذج الحي للشخصية التربوية الإسلامية المتكاملة ويتجلى ذلك في إبطاله الربا بإبطال ربا عمه العباس، كما أبطل دم ابن عمه ربيعة بن الحارث حين قال:(...وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هاتين وأول دم أضعه دماؤنا دم بن ربيعة بن الحارث كان مستر ضعاً في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله) ليكون ذلك أوقع في النفوس وأدعى للاستجابة وليكون الجميع على علم بأن الرسول r أول المطبقين لأمر الله (٢٥٥).

ونحن في تربيتنا المعاصرة ينبغي أن نقتدي ونستفيد من مثل هذه الأساليب التي نقتبسها من سيرة المصطفى r فلا بد أن يكون الآباء والمربون القدوة الصالحة لأبنائهم في البيوت والمدارس والمرافق العامة في المجتمع، وذلك بالالتزام والعمل بالقيم والمثل العليا التي يقوم عليها الدين الإسلامي.

٥- إعلاء قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أن الالتزام قائم على البلاغ وأن أي قيمه لا تسود إذا تخلف أهلها عن إبلاغها.

---

(٢٥٣) هذه الصيغة وردت في بعض روايات الخطبة .

(٢٥٤) عبدالوهاب عوض كويرات مدخل إلى طرائق التدريس ص٢٤١.

(٢٥٥) الوصية النبوية فاروق حمادة،مرجع، ص٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلابد من الإضطلاع بهذه المهمة من الدعاة مهما كانت الظروف والإمكانات. وقد استدل العلماء على أن الدعوة إلى الله وتعليم الناس مبادئ الدين ليس له مكان ولا زمان محددين، بقوله تعالى:

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(٢٥٦) فيوسف عليه السلام يدعو إلى التوحيد ويقارن بين قيم التوحيد وما كان عليه قومه من الشر والضلال يدعو إلى هذا وهو في السجن فهل يبقى بعد هذا عذر للناس بأنهم لم يجدوا الفرصة لعمل الخيروالدعوة إلى الإسلام وقيمة؟!

والرسول r ينزل عليه قوله تعالى:(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)(٢٥٧). وهو في حال لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. وقد أشارت الآية كذلك إلى أهمية إبلاغ الدعوة للناس وعدم الخوف من المشركين المستهزئين بالدعاة، والصبر على الأذى في سبيل الله والاجتهاد في العبادة ؛كالتسبيح والإكثار من السجود، وأن يكون ذلك خط الحياة ، وفلسفة البقاء في الدنيا إلى أن ينتقل المؤمن إلى الرفيق الأعلى والذي عبرت عنه الآية (يأتيك اليقين) (٢٥٨).

يقول سيد قطب في تفسير آيات الصدع بالدعوة: ((الصدع بالدعوة لا يعني الغلظة المنفرة أو الخشونة وقلة الذوق والجلافة ؛ كما أن الدعوة بالحسنى لا تعني التدسس الناعم وكتمان جانب من حقائق هذه العقيدة ، لا هذا ولا تلك إنما هو البيان الكامل لحقائق هذه العقيدة، ووضوح جلي وفي حكمة .... ومودة ولين وتيسير)) (٢٥٩).

وأن يبدأ بالأقربين، وهذا فيه تدرج، وهو مبدأ من مبادئ التربية، في الإصلاح والتقويم حيث يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه أولاً، ثم أهل بيته، ثم المجتمع من حوله، ثم يدعو العالم، ونبهت الآية إلى قيمة التواضع ؛ وضرورة الولاء والبرء من الذين لا يستجيبون لنداء الإسلام، وتحدثت عن قيمة التوكل على الحي الذي لا يموت، وأشارت إلى ضرورة الإكثار من السجود.

---

(٢٥٦) سورة يوسف الآية: ٣٩-٤٠.

(٢٥٧) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٢٥٨) سورة الحجر الآية ٩٩.

(٢٥٩) في ظلال القرآن سيد قطب، مرجع سابق، ج٤ ص٢١٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦-خطاب الرسول r الصحابة بقوله:(المسلم أخ المسلم) وقوله:(عباد الله) وقوله:(كلكم لآدم وآدم من تراب) هدا فيه دلالة نفسية وتربوية حيث يشعر المستمعين أنهم متساوون ولو تفاوتت درجات إيمانهم، وهذا فيه توحيد الهوية، فهم مسلمون كلهم.

٧- استخدام الرسول r عبارة: (أوصيكم بتقوى الله) فيه تلخيص لرسالة الإسلام، وكان يفتتح بها خطبه قبل أن ينتقل إلى تفاصيلها.

ج ئا تنأ ثمثلخ أ

وفي ختام هذا البحث يذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها ومنها:

١- تمثل خطبة حجة الوداع رسالة حضارية مفتوحة، موجهة إلى البشرية جمعاء،على اختلاف أزمانهم وألوانهم وأجناسهم وأماكنهم وعقائدهم... ولو تأملنا كل المبادئ التي تضمنتها خطبة حجة الوداع؛ لوجدنا اتفاق العقلاء كلهم وأهل الديانات كلها وأمم الأرض أجمعها على حاجة البشرية إليها.

٢- إن ما جاء في هذه الخطبة من القيم ومبادئ الإنسانية بمثابة الركائز التي يقوم عليها أمر البشرية في شتى المجالات التي تحتاجها،وعلي المسلمين خصوصاً أن يراجعوا أنفسهم أين هم من هذه الوصايا التي وصاهم بها المصطفى e وأشهد عليهم في ذلك رب العزة والجلالة، وذلك قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بزمن وجيز، وفي ذلك اللقاء المهيب، لا شك أننا سنسأل عن هذه القيم كما نسأل عن تعاليم الإسلام كله، قال تعالى:(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)(٢٦٠).

٣- تعتبر خطبة حجة الوداع؛بمثابة أول إعلان لحقوق الإنسان كافة وليس إعلان حقوق المسلمين فقط بما اشتملت عليه من مضامين تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه،بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه.

٤- التقويم السنوي نوعان: قمري قائم على رؤية القمر وشمسي قائم على العمليات الحسابية وكلاهما آيتان من آيات الله، والقرآن الكريم اعتمد التقويمين معاً لأداء العبادات،

---

(٢٦٠) سورة الزخرف الآية ٤٣-٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- لا يوجد المتن الكامل للخطبة، بل هي أجزاء متفرقة في عدد من المراجع ومذكورة بروايات متعددة وقد حاول جمعها وتحليل مضامينها بعض العلماء منهم: فاروق حمادة، وجمع بعض الخطب محمد خليل الخطيب في كتاب خاص وقام بالتعقيب على كل خطبة بذكر المراجع التي رجع إليها وهو جهد كبير وعمل عظيم يشكر عليه، ومع ذلك فإن الكتاب يحتاج إلي من يشرحه ويحلل مضامين تلك الخطب ويستخرج منها الدروس والعبر ليستفيد منه القارئ.

هذا آخر ما قصدناه في هذا البحث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الالتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.

٢. إنسانية الإسلام، مرسيل بوزارة، ترجمة عفيف، منشورات دار الأدب، بيروت،لبنان/ الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٣. تاج العروس، محمد علي الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ،(د- ن) و (د-ط) ١٩٩٤م

٤. التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.

٥. جامع البيان عن تأويل القرآن/ أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٠م.

٦. الخصائص العامة في الإسلامي يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة،١٩٨٦م.

٧. روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة،دار العلوم للملايين،بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، (دون ت).

٨. السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، دار الكتاب العربي،بيروت لبنان طبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩. سنن الترمذي :محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق :أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي ،بيروت لبنان،(د – ط) و(د-ت)

١٠. سنن الدار مي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدار مي تحقيق :فواز أحمد زمر لي ،وخالد السبع العلمي دار الكتاب العربي،بيروت لبنان طبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١١. السنن الصغرى: احمد بن الحسين بن علي البيهقي
تحقيق محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة –السعودية ، طبعة الاولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م

١٢. السيرة النبوية، ابن هشام دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٩م.

١٣. صحيح ابن خزيمة، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٤. صحيح البخاري، الإمام البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة،١٩٩٣م

١٥. صحيح مسلم الإمام مسلم، دار المعرفة(د- ن) و(د - ط) و(د- ت)

١٦. الطبراني (المعجم الأوسط) أبو القاسم بن احمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة مصر،الطبعة الثانية،١٩٧٨

١٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٨. فلسفة التربية الإسلامية، أحمد رجب الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٩٨م.
١٩. فهم أصول الإسلام علي عبد الحليم محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م.
٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة،١٩٧٨م.
٢١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.
٢٢. قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار ابن كثير دمشق، بيروت، الطبعة الثامنة،١٩٨٦م
٢٣. القيم والتربية لطفي بركات أحمد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.
٢٤. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، دار الفكر، بيروت،(دون ط) و (دون ت).
٢٥. مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، أحمد فارس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.
٢٦. مدخل إلى التربية والتعليم ، خالد القضاة ، دار الباز العلمية ،عمان الأردن ،الطبعة الأولي ، ١٩٩٨م
٢٧. مدخل إلى طرائق التدريس، عبد الوهاب عوض كويران،دار جامعة عدن؛ اليمن، سلسلة الكتاب الجامعي الأول١٩٩٨م.
٢٨. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار المعرفة' بيروت، الطبعة الأولي،١٩٩٨م.
٢٩. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، بيروت لبنان،الطبعة العاشرة'١٩٨٣م.
٣٠. المعجم الوسيط باب مجمع اللغة العربية
٣١. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،
٣٢. مفهوم المساواة في الإسلام، رشاد حسن خليل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية١٩٩٨م.
٣٣. مقدمة في علم النفس الاجتماعي، مصطفي يوسف، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م.
٣٤. ملامح المجتمع الذي ننشده، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٦م.
٣٥. من أساليب الرسول في التربية، نجيب خالد العامر، دار المجتمع، السعودية، الطبعة الأولى،١٩٩٠م.
٣٦. الموافقات في أصول الشريعة،لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم ابن موسى، مطبعة المكتبة التجارية ،(د- ت) و (د – ط) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٧. نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، السعودية جدة، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.
٣٨. نظرية المنهج، جورج يوشامب ترجمة ممدوح محمد سامي، وآخرون، مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة السابعة ١٩٨٦م.
٣٩. الوصية النبوية، فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
٤٠. السيرة النبوية أبو الحسن الندوي، دار الشروق جدة، (د- ط) و (د- ت).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com